



«وأبواب الجحيم لن تقوى
عليها» (مت ١٦ : ١٨)

الكنيسة القبطية في القرن العشرين

البابا يوساب الثاني

البطريرك الخامس عشر بعد المائة

في عداد بطاركة الكرسي الإسكندري

(١٩٤٥م - ١٩٥٦م)

- ٣ -



نواصل تقديم الأعمال الفاضلة التي تَمَّت في عهد البابا يوساب الثاني

سادسًا: البابا يوساب والعمل المسكوني:

(أ) انضمام الكنيسة القبطية إلى مجلس الكنائس العالمي. عُقدت الجمعية العامة الأولى للمجلس سنة ١٩٤٨، وقد مثَّل كنيسةنا القبطية القمص إبراهيم لوقا بتكليف من قداسة البابا الأنبا يوساب. أما الجمعية العمومية الثانية للمجلس والتي عُقدت سنة ١٩٥٤ فقد انتدب البابا يوساب كلاً من الراهب القمص مكاري السرياني (نيافة الأنبا صموئيل الشهيد)، القمص صليب سوريال، الأستاذ الدكتور عزيز سوريال عطية.

(ب) الاشتراك في المؤتمر الإسلامي المسيحي بحمدون بلبنان. وقد عُقد هذا المؤتمر سنة ١٩٥٤ من أجل تعاون أبناء الأديان لمحاربة الإلحاد ودعم المحبة والسلام.

سابعًا: البابا يوساب والحفاظ على أموال الأوقاف القبطية

بعد جلوس البابا يوساب على الكرسي البابوي سعى المجلس المَلِّي نحو الاستحواذ على أموال الأوقاف القبطية، وكان أعضاؤه لديهم ثقة في استجابة قداسته لهم، لأنهم كانوا قد نصره في الانتخابات البابوية! إلا أن قداسته رفض طلبهم، حيث أن ذلك من حق رؤساء الأديرة وأساقفة ومطارنة الإيبارشيات، فما كان من وكيل المجلس المَلِّي إلا أن قام برفع قضايا ضد البابا أمام المحاكم المدنية، ولكن جاء الحكم لصالح البابا، فما كان من رئيس المجلس إلا أن قام بسحب أموال البطريركية وقام بإيداعها في بنك آخر باسمه الخاص! فقام قداسة البابا برفع دعوى ضده أمام مجلس الدولة، وصدر الحكم لصالح

البابا. وهكذا كان البابا حريصًا كل الحرص على أموال الأوقاف وأموال البطريركية.

ثامنًا: البابا يوساب وثورة ٢٣ يوليو

بمجرد قيام الثورة، سارع غبطة البابا بتأييدها، ووقف الأقباط مع البابا، فنال قداسة البابا تقدير رجال الثورة فأحبهم وأحبوه. وقد قام غبطته بزيارة لمبنى مجلس قيادة الثورة حيث استقبله اللواء محمد نجيب رئيس مصر آنذاك، وهنأه البابا بنجاح الثورة. وفي عيد الميلاد سنة ١٩٥٣ استقبل قداسة البابا بالمقر البابوي البكباشي جمال عبد الناصر نائب رئيس الوزراء لتقديم تهناني مجلس قيادة الثورة للبابا. وكثيرًا ما كان يحضر أعضاء مجلس الثورة في احتفالات ومناسبات الأقباط.

تاسعًا: البابا يوساب والرعاية

قام غبطته برسامة أساقفة ومطارنة لرعاية الإبارشيات الخالية بالكرزة المرقسية، وبلغ عدد من قام بسيامتهم أربعة وعشرين أسقفًا (بالإضافة إلى اثنين للسودان، خمسة لأثيوبيا، واحد لجنوب أفريقيا). وكان آخر من بقي منهم أحياء هو الأنبا ميخائيل مطران أسيوط، والأنبا ثاؤفيلوس أسقف دير السريان. ونظرًا لانشغال البابا بالكرزة المرقسية ككل، إلا أنه كان يتابع إبارشيته الأصلية جرجا، فكلف بعض الآباء المطارنة المجاورين بأعمال الخدمة والرعاية والافتقاد فيها.



والآن بعد أن قدّمنا الإنجازات الكثيرة التي لا يمكن أن ينكرها أحد التي تمت في عهد البابا يوساب الثاني، سواء في رفع شأن الطائفة والدفاع عنها في حقبة جديدة من تاريخ مصر، وذلك بقيام ثورة يوليو ١٩٥٢، ومن ثم إلغاء المحاكم الملية، وإحالة القضايا المنظورة أمامها إلى المحاكم الوطنية. أو سواء في الاهتمام بالنهوض بالكنيسة ومدارس الأحد وتدريب الدين المسيحي في المدارس... وغير ذلك الكثير... لا بد أن نتطرق إلى موضوع شائك أزعج الكنيسة كثيرًا، وسبب لها أتعابًا جمة.

فقد كان لقداسة البابا خادمًا خاصًا يُدعى مِلِك. وكان قد اصطحبه معه من مطرانية جرجا إلى الدار البطريركية. وكان هذا الخادم قد استطاع أن ينال ثقة سيده بلا حدود، وللأسف فإنه استغل هذه الدالة وكان يتدخل في رسامة الكهنة وترقياتهم وتنقلاتهم، بل وصل به الأمر إلى التدخل في رسامة الأساقفة. وأصبح هذا الموضوع موضع استهجان

للشعب ولرجال الكنيسة في كل مكان.

وعندما ضج الناس بالشكوى، ووصل الأمر لوزارة الداخلية، قامت بالقبض على هذا الخادم، وتم ترحيله لمدينة جرجا. ولكن البابا اعتبر أن ما قامت به وزارة الداخلية هو تدخل في شئونه الخاصة، وطلب منها السماح لخادمه بالعودة، وفعلاً عاد إلى القاهرة، ولكن لم يُسمح له بدخول البطريركية، إلا أنه كان على اتصال دائم بالبابا تليفونياً، مما أثار سخط الأوساط الكنسية وطوائف الشعب المختلفة.

اختطاف البطريرك:

وفي تردّي الأوضاع، قام بعض المتطرفين من جماعة الأمة القبطية بتسليق أسوار البطريركية ليلاً واقتحموا قلاية البابا وأرغموه تحت تهديد السلاح بالنزول معهم، واقتادوه لدير مار جرجس للراهبات بمصر القديمة. وما أن علمت الحكومة بما جرى حتى أعادت البابا لمكانه وقبضت على المختطفين، وشرعت في محاكمتهم، لكن البابا عفا عنهم، وقال في خطاب وجهه إلى النائب العام: «قد صفحت عنهم إلى أبعد حدود الصفح، عملاً بوصية الله وحرصاً على مستقبلهم».

وفي ظل ما حدث من أمور مؤسفة للكنيسة وللبابا، اجتمع المجمع المقدس وكان من أهم قراراته مطالبته البطريرك بإبعاد خادمه وتشكيل لجنة من ثلاثة مطارنة لمعاونته في تدبير أمور الكنيسة. ووافق البابا على الاستغناء عن مملك كطلب المجمع. والعجيب أن يقوم مملك برفع قضية أمام مجلس الدولة يطلب فيها إعادته للبطريركية كي يؤدي الخدمات اللازمة للبابا! وكانت المفاجأة أن حكمت المحكمة لصالحه.

إيقاف البابا وعزله:

وعاد مملك للبطريركية ليستمر في استغلال نفوذه، فقام بتزوير خطابات بعزل الأساقفة رؤساء الأديرة وتعيين رؤساء لها من الرهبان. وما أن اكتشف أحد الأساقفة أن مملك وليس البابا هو وراء هذا الموضوع الخطير، حتى طلب عقد المجمع المقدس، فما أن علم مملك بذلك حتى أمر البوابين بغلق أبواب البطريركية في وجه الآباء المطارنة والأساقفة، فعدوا اجتماعهم في مقر دير الأنبا أنطونيوس بالقاهرة، وقرروا وقف البابا عن وظيفته، وعدم إقامته بالقاهرة أو الإسكندرية، وأيدهم في ذلك المجلس الملي العام،

وتم إبلاغ مجلس الوزراء. وأصدرت الحكومة في ٢٢ سبتمبر ١٩٥٥ قرارًا بعزل البابا تأييدًا لقرار المجمع المقدس والمجلس الملي العام.

البابا يوساب في دير المحرق:

غادر البابا الدار البطريركية ممتثلًا لقرار المجمع المقدس والحكومة، واختار قداسته الإقامة في دير المحرق، وقبل مغادرته الدار البطريركية توجه للكنيسة المرقسية، وخطب القديس مرقس الرسول قائلاً: «ها أنا أردُّ إليك الوديعة التي ائتمنتني عليها كما هي»، ثم ركب السيارة وسافر. وعلى أثر مغادرة البابا القاهرة، اجتمع المجمع المقدس في سبتمبر ١٩٥٥ وانتخب ثلاثة من المطارنة لإدارة شؤون الكنيسة.

موقف الكنيسة الأثيوبية:

لم يرض الأثيوبيون بالإجراءات التعسفية التي اتخذها مجمع الأساقفة المصريين ضد البابا يوساب، فقدم إلى القاهرة وفد منهم مكون من سبعة أساقفة، وأجروا اتصالات واسعة مع أعضاء المجلس البطريركي ومع كبار الأقباط، ثم توجهوا إلى دير المحرق وقابلوا البطريرك، وعقدوا مجتمعاً واشترك معهم بعض الأساقفة الأقباط، وبعد أن بحثوا الموضوع من كافة جوانبه، قرروا رد اعتبار البطريرك وإعادته لمقره بالقاهرة بكافة صلاحياته الكهنوتية والإدارية.

عودة البابا يوساب إلى القاهرة:

غادر البابا الدير المحرق متوجهاً للقاهرة، وما أن وصل إلى المقر البابوي بكلوت بك حتى وجده موصولاً بالسلاسل، إذ أن المطارنة المعارضين لعودة البابا قاموا بذلك. وفي الوقت نفسه أعلن وكيل المجلس الملي العام أن قرار إيقاف البابا ما زال قائماً... وعلى أثر الإحراج الذي صادفه البابا من هذا الموقف، أشار عليه البعض بالذهاب للإقامة في المستشفى القبطي حيث تم إعداد جناحاً لغطته هناك.

نياحة البابا:

كان موقف البابا الذي عاد من الدير المحرق مثيراً للشفقة بسبب الإحراج الذي صادفه، وبسبب الأشخاص الذين احتضنهم وقربهم إليه ثم تنكروا له وأساءوا معاملته بقسوة. وبدأت صحته في التدهور وتساء يوماً عن الآخر. ولما اشتدت عليه وطأة

المرض، وشعر الجميع بدنو أجله، وافقوا بلا استثناء على نقل البابا إلى المقر البابوي، وبعدها ب ٢٤ ساعة تنيح البابا في صباح الثلاثاء ١٣ نوفمبر سنة ١٩٥٦. وأقيمت صلاة الجناز عليه يوم الخميس ١٥ نوفمبر بحضور مندوبي الرئيس جمال عبد الناصر والإمبراطور هيلاسلاسي وكبار رجال الدولة، ودُفن بجوار أسلافه البطارقة في كنيسة الشهيد استفانوس الملحقة بالكاتدرائية المرقسية بكلوت بك.

وبعد نياحته عثروا على وصية كان غبطته قد كتبها بخط يده، جاء فيها:
{ أحبوا بعضكم بعضًا. أطيعوا رؤساءكم وذوي الحكمة فيكم. احفظوا وصايا الله. كونوا متحدين. ضعوا مخافة الله نُصب أعينكم. حافظوا على وطنكم وتضافروا في الدفاع عنه }.

كلمات أخيرة:

+ على الرغم من القلاقل التي نَعَصت حياة البابا يوساب الثاني واللطمات التي تعرَّض لها من بعض رجال الإكليروس والشعب، إلا أنه قام أثناء فترة حبريته، بأعمال جليلة سُيِّجلها له التاريخ المسيحي من حيث إنشاء عشرات الكنائس في أرجاء البلاد، واعتماد أجازات للأقباط في أعيادهم، وامتداد الكرازة المرقسية لأفريقيا...

+ كان الأنبا يوساب إنسانًا بكل ما تحمله الكلمة من معانٍ سامية، وفضائل حميدة رآها كل من عرفوه. ولكنه في نفس الوقت لم يكن معصومًا، بل كان عرضة للضعف والنقص.

+ على الرغم من أن كثيرين قد عادوا الأب البطريرك علانية، إلا أنهم وبلا استثناء أعلنوا أسفهم وندمهم على كل ما بدر منهم في حق هذا الشيخ الوقور، سواء من الآباء المطارنة أو من بعض أراخنة الأقباط.

يقول أحد مؤرخي الكنيسة المعاصرين وهو القمص صموئيل تاوضروس السرياني: {إن الأنبا يوساب، لظروف خاصة، لم يدخل التاريخ وهو على قيد الحياة، وإنما قرع أبوابه بعنف بعد نياحته}.

المراجع:

- سلسلة تاريخ البطارقة الجزء الأول، القمص صموئيل تاوضروس السرياني.
- تاريخ حافل، البابا يوساب الثاني، إعداد مجدي جرانت كيرلس.
- صفحات من تاريخ الكنيسة في العصر الحديث، أمير نصر.